مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2009، المجلد 11، العدد2 ص 303-352

صورة الشهيد في شعر الخوارج

The Image of the Martyr in the Kharijites' poetry

ماجد النعامي

قسم اللغة العربية - كلية الآداب
الجامعة الإسلامية - غزة

تاريخ الاستلام 2009/10/10 تاريخ القبول 2009/12/6

الملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة صفة الشهيد في شعر الخوارج من خلال المضامين التي تضمنتها قصائدهم الشعرية والمتمثلة في:

- تمني الشهادة والحث عليها
- الصفات المادية للشهيد
- الصفات المعنوية للشهيد

وكذلك دراسة الأساليب الفنية التي استخدمها الخوارج في الكشف عن هذه المضامين/ والمتمثلة في:

- الخيال والصورة
- للغة
- الظواهر الأسلوبية.

Abstract: This paper aims at studying the image of the martyr in the Kharijites' poetry shedding the lights at:

- Longing for encouraging others to martyrdom.
- Physical features of the martyr
- Personality traits of the martyr

It also studies the artistic features used by the Kharijite poets to express subject matters of such poetry which are:

- Imagination and the image
- The diction
- Style

المقدمة

يجد المتأمل في تاريخ حركة الخوارج، أنها حركة دينية سياسية، لها مذهبها، وأفكارها، ومبادئها، وقد جاهدت في سبيل تحقيق هذه المبادئ بالسيف واللسان. وقد لعب الشعر دورا مهما، في الدعوة لتلك المبادئ، والدفاع عنها، خاصة وأن زعماء هذا المذهب الخارجي، هم أنفسهم الشعراء، ذوو الموهبة واللسان.

وقد كانوا من المحاربين والفرسان، الذين يخوضون المعارك بسيوفهم قبل ألسنتهم، فلم يكن الشعر عندهم حرفة ولا هواية، بل كان وسيلة آمنة يعبرون بها عما يعتمل في نفوسهم، وما يدور في خلدهم. ولما كانت حياتهم سلسلة من الحروب المتواصلة، كثر القتل فيهم، وكثر بذلك نصيب الرثاء من هذا الشعر. ولقد رسم شعراؤهم في هذا الرثاء، صورا فنية رائعة ومتنوعة لشهدائهم، وهي صور ذات صلة بعقيدتهم، فهم لا يعيرون اهتماما لتكوينهم الخلقي، أو أصالتهم وحسبهم، بل يركزون على شجاعتهم ومقدرتهم القتالية، واستماتتهم في طلب الشهادة، وذلك ما سيعالجه هذا البحث من خلال المحاور التالية:

أولا: تمني الشهادة والحث عليها.
ثانيا: الصفات المادية للشهيد.
ثالثا: الصفات المعنوية للشهيد.
رابعا: القضايا الفنية.

الشهيد: لغة واصطلاحا

ورد في "لسان العرب": حرف الدال،فصل الشين:

شهد: حضر، وشهده: حضره ، وقوم شهود أي حضور، وهي في الأصل مصدر..... قال أبو عبيدة: شهد الله: قضى، فالله قد دل علي توحيده بجميع خلقه. وقال أبو العباس: شهد الله: بين الله، وأظهر[1].

والشهيد: المقتول في سبيل الله، والجمع شهداء، والاسم: الشهادة، واستشهد: قتل شهيدا، وتشهد: طلب الشهادة. وعن النصر بن شميل في تفسير الشهيد الذي يستشهد: الحي، أي هو عند ربه حي، وقال ابن الأنباري: سمي الشهيد شهيدا لان الله وملائكته شهود له بالجنة [2]

وسمي بالشهيد لسقوطه علي الشاهدة وهي الأرض، أو لأنه يشهد ملكوت الله وملكه، والجمع: شهداء وشهد، وشهود، وأشهاد، وامرأة مشهد، حضر زوجها، والشاهد من أسماء

[1] لسان العرب، طبعة بولاق، 1300ه، ج4، ص 225.

[2] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، ط2، ج9، ص 17.

النبي صلي الله عليه وسلم[3]

الشهيد في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة:

يجد المتأمل لكتاب الله عز وجل أن مادة (شهد) وردت في القران الكريم في مائة وستين موضعا علي اختلاف اشتقاقاتها[4].

ويعنينا في هذا المقام المواضع التي يمكن تأويلها للمعني الاصطلاحي أن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- قوله تعالى:" ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين" (أل عمران 139)
- وقد ذكر فخر الرازي في تفسير "شهداء " قولين: الأول: يتخذ منكم شهداء على الناس بما صدر منهم من الذنوب والمعاصي، فإن كونهم شهداء على الناس منصب عال ودرجة عالية. والثاني: المراد منه ليكرم قوماً بالشهادة[5]
- وقوله تعالى " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً"(النساء ص69)
- وقوله تعالى " وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون " (الزمر69) وقوله تعالي "والذين أمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم "(الحديد19)

ويتضح من هذه الآيات الأجر العظيم الذي أعده الله للشهداء، وقد تحدث القرآن الكريم عن الشهيد بصيغة (القتل في سبيل الله). كقوله تعالى:" ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون "(البقرة،135) وقوله تعالي " ولا تحسبن الذين قتلوا في

---

[3] نصر الهوريني، شرح ديباجة القاموس، ج1، ص 205-306.

[4] محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، كتاب الشعب، القاهرة، د ت، ص 338 - 390.

[5] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، م س، ص 17.

سبيل الله، أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (آل عمران 169). فالصورة التي رسمها القرآن الكريم للشهيد: ممات في حياة، وحياة في ممات واستبشار بنعم الله، و فرح بوعده، وغبطة بجنته، وبيعة مآلها الفوز العظيم.

الشهيد في السنة النبوية:

ورد في السنة النبوية الشريفة، عدد كبير من الأحاديث الشريفة التي تناولت مفهوم الشهيد، ومكانته في الدنيا والآخرة، وحاله وصفاته، نذكر منها:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: "الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله " متفق عليه [6]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:" من قتل دون ماله فهو شهيد " متفق عليه. [7]

وقد روى سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: "من سأل الله تعالى الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه " رواه مسلم[8]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة " [9]

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " مأأحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة " وفى رواية:" لما يرى من فضل الشهادة " متفق

---

[6] أبو زكريا (يحيى بن شرف النووي)، تحقيق محمود بن الجميل، ط2، مكتبة الصفا، القاهرة، 2004م، ص 338.

[7] السابق، ص 339.

[8] السابق، ص 334.

9 السابق، ص 334.

عليه. [10]

وعن أبي الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل _أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنه_ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد " رواه أبو داود والترمذي. [11]

وعن سمره رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رأيت الليلة رجلين أتياني فصعد أبي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها قالا: أما هذه الدار فدار الشهداء ": رواه البخاري. [12]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين" رواه مسلم. [13]

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل: أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال: " في الجنة "فالقي تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل" رواه مسلم. [14]

وعنه قال: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال: "لا تستطيعون فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول:" لا تستطيعونه" ثم قال "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر: من صلاه ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله" متفق عليه.[15]

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال:" كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن فتنة

---

10 السابق، ص 332.

11 السابق، ص 339.

12 السابق، ص 334.

13 السابق، ص 332.

14 السابق، ص 332.

15 السابق، ص 330.

القبر " رواه أبو داود والترمذي.[16]

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله علية وسلم يقول:" رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل " رواه الترمذي.[17]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان وتصديق برسلي فهو ضامن أن ادخله الجنة أو أرجعه إلي منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل" رواه مسلم.[18]

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي: اللون لون الدم، والريح ريح المسك " متفق عليه.[19]

وعن معاذ رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت: لونها الزعفران، وريحها كالمسك " رواه أبو داود والترمذي.[20]

المحاور التي تناولها شعراء الخوارج في موضوع الشهادة:

المحور الأول: تمني الشهادة والحث عليها

---

[16] السابق، ص 328.

[17] السابق، ص 329.

[18] السابق، ص 329.

[19] السابق، ص 329.

[20] السابق، ص 329.

يجد المتأمل في شعر الخوارج حرصهم الشديد على الشهادة، وتسابقهم عليها، فهم يرون أن الموت أحب إليهم من الحياة وأبقي، وهذا ما نلمسه في قول شاعرهم عمران بن حطان:

فمن يك همه الدنيا فإني لها والله رب البيت قالي [21]

فالشهادة هي الغاية التي ينشدون وإليها يتسابقون، فهذا معاذ بن جوين الطائي، يتمني أن يكون أول من يسعد بلقائها:

ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي إذا ذكـرت كـانت أبـر وأعدلا
فياليتني فيكم على ظهر سابح شديد القصيري دارعا غير أعزلا
وياليتني فيكم أعادي عـدوكم فيسقيـنـى كـأس المنيـة أولاً[22]

يحث الشاعر نفسه من خلال حثه لقومه، على طلب الشهادة، والحرص على نيلها، بل ويتمنى لو كان بينهم _وهم يجابهون أعداءهم_ فيكون أول من يسقط شهيدا. وقد نوع الشاعر في توظيفه للأساليب التي تخدم فكرته التي ذهب إليها، حيث استخدم أداتي: التنبيه، والنداء (ألا– يا)؛ لجذب انتباه قومه إليه، وكذلك أسلوب الأمر (فاقصدوا)، وأسلوب الشرط (إذا ذكرت كانت) لحثهم على طلب الشهادة، والتكرار (فياليتني، وياليتني) للتدليل على حرصه الشديد على طلب الشهادة.

ويري البهلول بن بشر الشيبانى، أن الشهادة في ميادين القتال أشهى عندهم من العسل:

من كان يكره أن يلقي منيتـه فالموت أشهي إلى قلبي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجلنى ولا الحـذار ينجينـي من الأجـلً[23]

يوظف الشاعر المفارقة التصويرية، بين من يكره لقاء الموت، وحب الشاعر الشديد له، وكذلك الطباق (التقدم _ الحذار) (يعجلني _ ينجيني) لتوضيح فلسفة الخوارج، ورؤيتهم للحياة، فهم يؤمنون أن الموت مصير كل كائن حي؛ لذا لا بد من اختيار الميتة المشرفة،

---

[21] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، مكتبة العارف، بيروت، د ت، ص 124.

[22] نايف معروف، ديوان الخوارج، تحقيق نايف معروف، دار المسيرة، بيروت، ط1، 1983م، ص 197–198.

[23] السابق، ص 32.

وهذا ما يفسر إقدامهم الشديد في المعارك، وحرصهم على طلب الشهادة.

ويتلهف أميرهم وشاعرهم قطري بن الفجاءة، علي الشهادة موضحاً في أبياته، حتمية الموت، وشجاعة الخارجي، وزهده في هذه الحياة الدنيا:

حتى متى تخطئني الشهادة
والموت في أعناقنا قلادة
ليس الفرار في الوغى بعادة
يا رب زدني في التقي عبادة
وفي الحياة بعدها زهادة[24]

ويحث صاحبه سميرة بن الجعد علي أن يلحق بركب الخوارج، مبيناً له أن الشهادة في سبيل الله، هي الغاية القصوى، وهي التجارة الرابحة:

وتب توبة تُهدي إليك شهادة فإنك ذو ذنب ولست بكافر
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة تُفدك ابتياعاً رابحاً غير خاسر
هي الغاية القُصوى الرغيب ثوابها إذا نال في الدنيا الغنى كل تاجر[25]

ويتمني عمران بن حطان الشهادة في ميادين الوغي، ويخشي أن يموت علي فراشه، ويرجو من الله أن تكون ميتته كميتة أبى بلال (أحد قادة الخوارج) في ميادين القتال:

أحاذر أن أموت علي فراشي وأرجو الموت تحت ذرى العوالي
ولو أني علمت بأن حتفي كحتف أبي بلال لم أبال [26]

ويري د. مصطفي الشكعة أن أبيات عمران هذه توضح نظرة الخوارج للموت، فهم ينشدون الموت في ساحات القتال بعيداً عن الفراش، ويرى أن عمران في تصويره لهذا المعني لم يصل إليه أحد قبله من الخوارج. [27]

---

[24] السابق، ص 166.

[25] السابق، ص 167.

[26] السابق 129

[27] مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مكتبة الإنجاد مصرية، القاهرة، 98م، ص 76.

ويحاور قطري بن الفجاءة نفسه، محاورة جميلة، يبث فيها الشجاعة ويكشف لها حقيقة كونيه خالدة، بأن الموت لن يفر منه أحد؛ لذا فلا مناص أمامها، سوى أن تختار الميتة المشرفة، التي تخلد ذكراها:

أقول لها وقد جاشت حياءً ... من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو طلبت حياة يوم ... علي الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع
وما طول الحياة بثوب مجد ... فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت منهج كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لم يغتبط يسأم ويهرم ... ويفض به القضاء إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع[28]

ويتمنى أبو بلال مرداس بن أديّه من الله أن يهبه الشهادة ويبين مدى صبرهم في ميادين الوغى، وحرصهم الشديد على مواجهة الأعداء:

الهي، هب لي زلفة ووسيلة ... إليك، فإنى قد سئمت من الدهر
فلسنا إذا جمت جموع عدونا ... وجاؤوا إلينا مثل طامية البحر
نكف إذا جاشت إلينا بحورهم ... ولا بمهابيب نحيد عن البتر
ولكننا نلقى القنا بنحورنا ... وبالهام نلقى كل أبيض ذي أثر
إذا جاشت نفس الجبان وهللت ... صبرنا، ولو كان القيام على الجمر[29]

فهو يؤثر الآجل على العاجل.

إني وزنت الذي يبقى بعاجلة ... تفنى وشيكا فلا والله ما اتّزنا
تقوى الإله وخوف النار أخرجني ... وبيع نفسي بما ليست له ثمنا [30]

فهم لا يخشون الموت في سبيل الله، بل هو أقصى ما يتمنون.

ومن يخشى أظفار المنايا فإننا ... لبسنا لهن السابغات من الصبر

---

[28] نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 169.
[29] السابق ص 193.
[30] السابق ص 195.

وإن كريه الموت عذب مذاقه إذا ما مزجناه بطيب من الذكـر
وما رزق الإنسان مثل منيـه أراحت من الدنيا،ولم تخز في القبر[31]

يصور الشاعر من خلال الأبيات السابقة، صبر الخوارج وجلدهم في مواجهة أعـدائهم، فهم لا يأبهون بالموت الذي يحيط بهم من كل جانب، وقد وظف الشاعر الطبـاق (كريـه، عذب) للتدليل على أن هذا التحول من كراهية الموت _ وهو فطرة جبل الإنسان عليهـا _ إلى حبه والحرص عليه، ما كان له أن يكون، لولا إكثار الخوارج من ذكرهم لله، وقد صور الشاعر الشهادة، بالرزق الذي يسوقه الله إلى من يشاء، بل وجعلها أفضل ما رزق الإنسان.

ويتمنى أحدهم أن يلحق بأصحابه الذين نفروا لله عز وجل، ويسأل الله عز وجل الـصدق والثبات عند اللقاء:

يارب هب لى التقى والصدق في ثبت واكف المُهمّ فأنت الرازق الكـافـي
حتـى أبيـع التـي تفنـى بآخـرة تبقى على ديـن مرداس وطـوّاف
وكهمسٍ وأبـى الشعثـاء إذ نفـروا إلى الإلـه ذوى أخبـاب زحـاف[32]

بل ويجعل أحدهم طلب الشهادة، الشرط الأساس لبلوغ المنزلة العظيمة عند الله عز وجل:

وإن كنت تبغى عند ذي العرش حظوة فلا تك إلا مرهف السيف شاريا [33]

ومنهم من يرى أن غدوه لميادين القتال ،وكأنه ذاهب إلى العسل الماذى:

أغادى جـلاد المعلمين كأننـي على العسل الماذى أصبح غاديـا
ولست أرى نفساً تموت وإن دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا [34]

فالسرور كل السرور، عندما يصاب أحدهم، بطعنة نجلاء تريح النفس، وتنقلها إلـى دار القرار، يقول عمرو بن الحصين:

لا شيء يلقاه أسـر له من طعنة في ثغـره النحـر
منهارةٍ منه تجيش بما كانت عواصم جوفه تجري[35]

---

[31] السابق ص 226.
[32] السابق ص 229.
[33] السابق ص 242.
[34] السابق ص 176.
[35] السابق ص 143.

ويرى شاعرهم الطرماح بن حكيم، أن الشهادة هي الخلاص الوحيد من عذاب الجحيم:

لقد شقيت شقاءً لا انقطـــاع لـــه إن لم أفز فوزة تنجنى من النـــار

والنار لم ينج من روعاتها أحـــد إلا المنيب بقلب المخلص الشاري[36]

المحور الثاني: الصفات المادية للشهيد

ركز شعراء الخوارج في وصفهم للشهداء على التغني بصفات الشهيد المادية، والتي قد تتداخل في بعض الأحيان مع الصفات المعنوية، بحيث يصعب الفصل بينهمـــا، وقـــد نـــوع الشعراء في ذكر هذه الصفات المادية، ومنها على سبيل المثال:

1- الأُسُود:

لا يخفى علينا ما يمثله الأسد، من رمزية القوة والفتك ،وهذا ما دفع شعراء الخوارج إلى وصف شهدائهم بهذه الصفة، لما يمثلونه من رمزيه الشجاعة والإقدام، يقول شاعرهم الأشل الأزرقي راثياً أحد شهدائهم أبا داود بن جرير الإيادى:

نعاه لنا كالليث يحمى عرينه وكالبدر يغشى ضوءه كل كوكب [37]

يصور لنا الشاعر شهيده بالأسد الهصور الذي يدافع عن عرينه بكل ما أوتي من قـــوة، وفيه إشادة بقوة الفارس الخارجي وشجاعته، كما وينعته بالبدر، ولا يخفى علينا ما يمثله ذلك من دلالة النور والهداية والإشراق.

وتقول أم عمران بن الحارث الراسبي في رثاء ولدها عمران (أحد قادة الخوارج):

ولى صحابته عن حر ملحمة وشد عمران كالضرغامة الهصر[38]

ويقول داود بن عقبه العبدى:

شهدتهم أسدا إذا الحرب شمّرت مساميح بُهمٌ بالمهندة البترُ[39]

يصف الشاعر قتلى الخوارج يوم النخيلة (موقعة جرت بـــين علـــي رضـــي الله عنـــه والخوارج) بالأسود في ساح الوغى، ويؤكد هذا الوصف بقوله: بهم (جمع بهيم وهو الأسد)

---

36 السابق ص 85.
37 السابق ص 19.
38 السابق ص 28.
39 السابق ص 60.

للدلالة على قوتهم، وفتكهم بأعدائهم، ويوظف ضمير الجمع (شهدتهم) ليبين أن صفة القوة سمة غالبة على الخوارج، ولا ينفرد بها أحد دون الآخر.

وتقول ليلى بنت طريف في رثاء أخيها الوليد:

ولليث كل الليث إذ يحملونه إلى حفرة ملحودة وسقيف[40]

ويقول أحدهم واصفا أصحابه:

وهم الأسود لدى العرين بسالة ومن الخشوع كأنهم أحبار[41]

يرسم الشاعر في هذا البيت لوحتين فنيتين لجند الخوارج، تتمثل الأولى في التشبيه البليغ (هم الأسود ليدلل من خلالها على قوتهم واستبسالهم في مواجهة أعدائهم، فلا يرى منهم العدو إلا الفتك والدمار. وتعكس الأخرى (كأنهم أحبار) الوجه الآخر لفرسان الخوارج في خلوتهم بربهم ومناجاتهم له، فالمفارقة التصويرية واضحة بين حالتي: القوة، والعزة في مواجهة الأعداء، والخضوع والتذلل بين يدي الله.

ويرثي عمرو بن الحصين أصحابه:

متسربلى حلق الحديد كأنهم أسد على لحق البطون سلاهب[42]

2- طلاقه اللسان ورجاحة الرأي:

يقول شاعرهم الأشل الأزرقي في رثاء أحد شهدائهم:

وأذرب من حد السنان لسانه وأمضى من السيف الحسام المشطب [43]

يوازن الشاعر في هذا البيت بين قوة بيان هذا الشهيد، وقوة سنانه، ويجعل الغلبة للبيان على السنان، لما له من عظيم الأثر في الدفاع عن عقيدتهم، والنيل من أعدائهم ودحض مزاعمهم.

ويرثى الشاعر الجعدي بن أبي صمام الذهلي صالح بن مسرح بقوله:

وقد كان ذا رأى مبين ورأفة صفوحاً عن العوراء يدفعها عمدا [44]

---

[40] السابق ص 184.
[41] السابق ص 224.
[42] السابق ص 140.
[43] السابق ص 19.

ويقول عمرو بن الحصين العنبري في رثائه لأبى حمزة الشاري وصحابته:

طلق اللسان بكل محكمةً رأب صدع العظم ذي الكسر
قوال محكمه وذي فهــم عــف الهــوى متثبت الأمر [45]

يؤكد الشاعر في هذين البيتين، على قوة بيان أبي حمزة، وطلاقة لسانه، وهــي طلاقــة تعكس حكمة صاحبها، وفهمه العميق.

وتقول شاعرتهم ليلى بنت طريف:

بتل نباتاَ رسم قبر كأنــه على علم فوق الجبال منيف
تضمن جوداً حاتميا ونائلا وسؤرة مقدام وقلب حصيف[46]

وترثى مليكة الشيبانية عمها:

يا عم كنت لسان قومك حين يجتمــع المعاشــر [47]

ويصف أبو العيزار شهداءهم بقوله:

أدباء أما جئتهم خطباء ضمناء كل كتيبة جرار [48]

يجمع الشاعر في هذا البيت للخوارج بين قوة البيان وقوة السنان، كما ويوظف الجمــع (أدباء، جئتهم، خطباء) للدلالة على أن طلاقة اللسان، وقوة البيان، سمة غالبة على فرسانهم.

3- القوة وشدة البأس:

وتعد من الصفات المادية التي ركز عليها شعراء الخوارج،في وصفهم لشهداء الخوارج، لإبراز جانب البطولة والفداء لهؤلاء الشهداء، فهذا أبو العيزار يرسم لنا لوحة فنيــة جميلــة لمصرع أحدهم:

ومسوم للموت يركب ردعــه بين القوا ضب والقنا الخطار

---

[44] السابق ص 38.
[45] السابق ص 144.
[46] السابق ص 182.
[47] السابق ص 201.
[48] السابق ص 14.

يدنو وترفعه الرمـــاح كأنـــه شلو تنشب في مخالب ضـــار
فثوى صريعا والرماح تنوشه إن الشراه قصيرة الأعمـــــار[49]

ويرثى أيوب بن خولي، أصحاب شوذب الخارجي:

فيا هدب للهيجا، ويا هدب للندى ويا هدب للخصـــم الألـــد يحاربـــه
ويا هدب كم ملحـــم قـــد أجبتـــه وقد أسلمتـــه للرمـــاح جوالبـــــه
وكان أبو شيبان خـــير مقاتـــــل يرجّى، ويخشى بأسه من يحاربـــه
ففاز ولاقى الله بالخيـــر كلـــــه وخَذّمه بالسيف في اللـــه ضاربـــه
تزود من دنياه درعـــاً ومغفـــراً وعضباً حساماً لم تخنـــه مضاربـــه
وأجرد محبـــوك الســـراة كأنـــه إذا انقض وافى الريش حجن مخالبه[50]

يوظف الشاعر التكرار (يا هدب) للتدليل على قوة هدب اليشكري وشدة بأسه، كما ويبين أن أخاه أبا شيبان (أحد فرسان شوذب الخارجي) لا يقل عنه في القوة والشجاعة، كيـــف لا وقد كرس حياته كلها للحرب والقتال، فكل ما يملك فـــي هـــذه الـــدنيا الـــسيف، والـــدرع، والحصان، فقد جعلها زاده ليوم الميعاد، فكان له ما أراد، بالفوز بالشهادة.

يرثى حسان بن جعده بسطاماً وفرسانه:

بسيهم قد تأسوا عند شدتهم ولم يريدوا عن الأعداء إحجاما [51]

ويقول الخيبرى راثياً عبد الملك:

فلا رعش اليدين ولا هدان ولا وكل اللقاء ولا كهـــــام [52]

يعدد الشاعر في هذا البيت الصفات، التي تعكس قوة صاحبه وشدة بأسه.

ويرثى شمر بن عبد الله اليشكري أخاه الريان بقوله:

ولقد فجعت بسادة وفوارس للحرب سعر من بني شيبان [53]

---

[49] السابق ص 14.
[50] السابق ص 29-30.
[51] السابق ص 49.
[52] السابق ص 59.
[53] السابق ص 79.

ويقول عمران بن حطان راثياً أصحابه:

وإخوة لهم طابت نفوسهم بالموت عند التفاف الناس بالناس [54]

ويرثي فروة بن نوفل قومه:

هم نصبوا الأجساد للنبل والقنا فلم يبق منها اليوم إلا رميها [55]

وتعدد ليلى بنت طريف، مناقب أخيها الذي قتل في إحدى المعارك:

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف
ولا الخيل إلا كل جرداء شطبة وكل حصان باليدين غروف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستسلم يوماً لورد كريهة من السرد في خضراء ذات رفيف[56]

توظف الشاعرة في هذه الأبيات النفي والاستثناء (لا يحب ..... إلا، ولا المال إلا) والتكرار (كل جرداء، كل حصان) للدلالةعلى زهد أخيها وتقواه وحرصه الشديد، على اقتناء كل ما يمكنه من رقاب الأعداء (قنا، سيوف، خيل)، كما وعكست من خلال النفي (غير خفيف، لم تستسلم) رباطة جأشه، وقوة بأسه في مواجهة الأعداء.

ويقول يحيى بن المختار في رثاء أصحابه:

يا لهف نفسي ولهف غير نافعة على فوارس بالبطحاء أنجاد [57]

ويصف أحدهم، قوة أصحابه وشجاعتهم :

يمضون وقد كسروا الجفون إلي الدعا متبسمين وفيهم استبشار
فكأنما أعداؤهم أحبابهم فرحاً إذا خطر القنا الخطار
يردون حومات الحمام وإنها تالله عند نفوسهم الصِغارُ[58]

---

[54] السابق ص 116.
[55] السابق ص 159.
[56] السابق ص 183-184.
[57] السابق ص 210.
[58] السابق ص 225.

يرسم الشاعر في هذه الأبيات صورة فنية رائعة، تعكس قوة أصحابه وشجاعتهم، فهم يمضون لمواجهة أعدائهم، والبسمة تعلو وجوههم، وقد تهللت أساريرهم واستبشرت بهذا اللقاء، وكأن أعداءهم أحباب لهم، يفرحون بلقائهم، ويردون حومات الوغى، بنفوس تستصغر الموت.

4- قيام الليل والأنين وتلاوة القرآن:

عرف عن الخوارج زهدهم في الدنيا وكثرة عبادتهم، وهذا ما لمح إليه شعراؤهم في رثائهم، يقول سلامة بن عامر القشيري في رثاء الخطاب النمري:

فتي لا يري نوم العشاء غنيمة ولا ينثني من رهبة الحدثان[59]

ويرثي عيسي بن فاتك أبا بلال مرداس بن أديّة ومن قتل معه من الخوارج:

ألا في الله لا في الناس شالت بداود وإخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا تحوم عليهم طير وقوع
إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهو ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأرض في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوع
يعالون النحيب إليه شوقا وإن خفضوا فربهم سميع[60]

كشف الشاعر في هذه الأبيات، عن تقوى الخوارج، وعبادتهم الشديدة لله، وقد وفق الشاعر في اختياره لألفاظه التي تعكس ورع الخوارج وتقواهم، (الليل، أظلم، كابدوه، ركوع، أطار، سجود، أنين، النحيب، شوقا)، ولك أن تتخيل ظلمة الليل ووحشته، والمكابدة وما فيهم من تعب ومشقة، والركوع وما فيه من تذلل وخضوع. ولقد وظف الشاعر الطباق (فقاموا، هجوع) ليدلل على ورع الخوارج وغفلة الآخرين. ولعل في استخدامه للفعل (أطار) ما يؤكد على أثر الخوف من الله في مجافاة النوم لهم. وقد مزج الشاعر بين سكون الليل وسجود الخوارج، ليسمعنا من خلاله هذا الأنين، الذي يعلو ليصبح نحيبا، شوقا لله. وقد وفق الشاعر في تقديمه الجار والمجرور (إليه) ليدلل أن هذا الشوق لا يكون إلا لله عز وجل.

ويقول عمرو بن الحصين راثيا أصحابه:

---

[59] السابق ص 69.
[60] السابق ص 154.

متأوهين كأن في أجوافهم ... نارا تسعرها أكف حواطب
تلقاهم فتراهم من راكع ... أو ساجد متضرع أو ناحب
يتلو قوارع تمتري عبراته ... فيجودها مري المرئ الحالب[61]

يرسم الشاعر في هذه الأبيات لوحة فنية رائعة، يعكس من خلالها نفحات تجلى فيها الخالق على فرسان الخوارج، يتأوهون من شدة خوفهم، وكأن في قلوبهم نارا، كلما خبت تسعرها الأكف بالحطب، فهم ما بين راكع أو ساجد، يعلو نحيبهم، من شدة تضرعهم، وقد استدرت آيات القرآن (الآيات التي يذكر فيها يوم القيامة) عبراتهم، كما استدر الحالب الناقة الموصوفة بكثرة درها. ولقد وفق الشاعر في التفصيل بعد الإجمال (أجوافهم، تلقاهم، فتراهم، راكع، ساجد، متضرع، ناحب، يتلو) ليدلل من خلال الإجمال على أن هذه التجليات سمة غالبة على الخوارج، ويعكس التفصيل انشغال الخارجي بنفسه مع الله، عن الجمع من حوله.

ويرسم لهم في أبيات أخرى صورة مؤثرة، يعكس فيها تقواهم وورعهم:

إلا تجيئهم فإنهم ... رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضي ... للخوف بين ضلوعهم يسري
تلقاهم أُلاً كأنهم ... لخشوعهم صدروا عن الحشر
فهم كأن بهم جرى مرض ... أو مسهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم ... فيهم غواشي النوم بالسكر
إلا كذا خلسا وآونة ... حذر العقاب وهم علي ذعر
كم من أخ لك قد فجعت به ... قوام ليلته إلي الفجر
متأوه يتلو قوارع من ... أي القرآن مفزع الصدر[62]

5- الصوم ونحالة الأجسام:

من الصفات التي ذكرها شعراء الخوارج لشهدائهم، نحاله الأجسام لكثرة صومهم، ولزهدهم في هذه الحياة الدنيا، يقول حجيه بن أوس، راثيا أصحابه:

[61] السابق ص 139.
[62] السابق ص 141-142.

ترى عافيات الطير يحجلن حولهم يقلبن أجساما قليلا لحومها[63]

ويرثي زياد الأعسم، داود بن النعمان المازني:

كأن الفتي داوود لم يك فيكم ولم تره يوما من الصوم باليا[64]

ويقول فروة بن نوفل:

تظل عتاق الطير تحجل حولهم يعللن أجسادا قليلا نعيمها
لطافا براها الصوم حتى كأنها سيوف إذا ما الخيل تدمي كلومها[65]

6- الكرم:

تعد صفة الكرم من الصفات الحميدة التي تغني بها الشعراء العرب على مر الزمان لذا ركز شعراء الخوارج علي إبراز هذه الصفة في رثاء قتلاهم.

يقول أيوب بن خولي راثيا أصحاب شوذب الخارجي:

فيا هدب للهيجاء ويا هدب للندى ويا هدب للخصم الألد يحاربه [66]

وترثي ليلي بنت طريف أخاها:

تضمن جودا حاتميا ونائلا وسؤرة مقدام وقلب حصيف
حليف الندى ما عاش يرضي به الندى فان مات لا يرضى الندي بحليف [67]

وتقول مليكة الشيبانية راثية عمها:

وليبكه المولى وطالب حاجة عند العشاء وكل ضيف طاوي
أين الذين إذا أتاهم سائل بذلوا له أموالهم بيسار؟ [68]

وقالت في رثاء أخيها:

---

[63] السابق ص 47.
[64] السابق ص 65.
[65] السابق ص 159.
[66] السابق ص 29.
[67] السابق ص 182-184.
[68] السابق ص 202.

من لضيف ينتاب في ظلمة الليل إذا مل منزل الضيفان؟ [69]

7- كثرة الصمت:

وصف شعراء الخوارج شهداءهم بهذه الصفة الحميدة ليبينوا أن هذه الصفة سمة غالبة عليهم، فهم إن نطقوا لا ينطقون إلا ذكرا.

يقول عمرو بن الحصين راثيا صحابته من الخوارج:

صُمتٍ إذا احتضروا مجالسهم وُزنٍ لقول خطيبهم وُقرُ [70]

ويرثي عيسي بن فاتك أبا بلال ومن قتل معه من الخوارج:

وخرس بالنهار لطول صمت عليهم من سكينتهم خشوع [71]

الصفات المعنوية للشهيد:

رسم شعراء الخوارج صفات معنوية متنوعة لشهدائهم منها:

1. الصبر:

يجد المتتبع لحركة الخوارج أنهم أهل حرب وقتال، فما أن تهدأ لهم ثورة، حتى تقوم أخري، لهذا أبرز شعراؤهم صفة الصبر، في وصفهم لشهدائهم، ليدللوا علي ثباتهم في المعارك ورباطة جأشهم، يقول الأشل الأزرقى راثياً أبا داود بن جرير الإيادي:

وأصبر من عود إذا سرى من النجم في داج من الليل غيهب [72]

يفاضل الشاعر بين صبر صحابته، وصبر العود (المسن من الأبل)، ومعلوم أن الأبل يضرب بها المثل في الصبر وشدة التحمل، ليدلل من خلال هذه المفاضلة، على قوة صبرهم، وتحملهم للشدائد.

فهم لا يجزعون من الموت، يقول شاعرهم الأعرج المعني:

لا جزع اليوم علي قرب الأجل
الموت احلي عندنا من العسل

---

[69] السابق ص 203.
[70] السابق ص 141.
[71] السابق ص 154.
[72] السابق ص 19.

نحن بنو الموت إذا الموت نزل[73]

ويرثي عمرو بن الحصين، أبا حمزة الشاري وأصحابه:

في فتية صبروا نفوسهم للمشرفية والقنا السمر[74]

ويقول شاعرهم:

معشر قضوا نحوبهـــم كل ما قد قدموا حســن
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جبنوا[75]

2. السيادة:

تقول مليكة في رثاء أخيها حازوق الخارجي:

أعيني جودا بالدموع علي الصدر علي الفارس المقتول في الجبل الوعر[76]

ويرثي شمر بن عبد الله اليشكري أخاه:

ولقد فجعت بسادة وفوارس للحرب، سُعرٍ من بني شيبان [77]

3. الشوق لله وبيع النفس له:

يقول الشاعر الجعدي في رثاء مطر بن عمران الخارجي:

أرى مطرا قد باع لله نفسه بما ظل يعطي للشراة ويوعد [78]

ويقول في رثاء صالح بن مسرح:

أيا عين فابكي صالحا، إن صالحا شرى نفسه لله يبغي بها الخلدا [79]

ويرثي زياد الأعسم أحد الخوارج:

---

[73] السابق ص 22-23.
[74] السابق ص 141.
[75] السابق ص 239-240.
[76] السابق ص 17.
[77] السابق ص 79.
[78] السابق ص 38.
[79] السابق ص 38.

فإن يك داود مضى لسبيلـــه فقد كان ذا شوق إلى الله تاليا
ألا فاذكرن داود إذ باع نفسه وجاد بها يبغي الجنان العواليا [80]

ويقول شمر بن عبد الله اليشكري في رثاء أخيه الريان:

وفوارس باعوا الإله نفوسهم من يشكر عند الوغى فرسان [81]

ويرثي أميرهم وشاعرهم قطري بن الفجاءة، صحابته الذين قتلوا:

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم [82]

وتقول امرأه من بني شيبان في رثاء ذويها:

فتية باعوا نفوسهم لا ورب البيت ما غبنوا [83]

4. التقوى والصلاح:

ركز شعراء الخوارج في وصفهم لشهدائهم علي هذه الصفة، وذلـــك للتـــدليل علـــي أن الأفعال التي تصدر منهم، إنما هي أفعال صائبة، منبعها التقوى والصلاح، فلا مبـــرر لمـــن خالفهم أن يعترض طريقهم،

يقول حسان بن جعده:

فلن تري أبدا ما عشت مثلهم اتقى وأكمل في الأحلام أحلاما [84]

ويرثي عمرو بن الحصين، أبا حمزة وصحابته:

تراك ما تهوي النفوس إذا رغب النفوس دعت إلي النذر
ومبرأ مـــن كـــل سيئـــة عف الهوى ذي مـــرة شزر
..... فكلاهما قد كان محتسبـــا لله ذا تقوى وذا بـــر[85]

ويقول العيزار بن الاخفش الطائي في قتلي الخوارج:

---

[80] السابق ص 65.
[81] السابق ص 79.
[82] السابق ص 175.
[83] السابق ص 240.
[84] السابق ص 49.
[85] السابق ص 142-145.

وآلوا إلي التقوى ولم يتبعوا الهوى فلا يبعدن الله من كان شاريا [86]

ويرثي قيس بن الأصم الخوارج الذين قتلوا في المعارك :

ذكرت الشراة الصالحين وقد فنوا وذكرني أهل القرآن الشذور [87]

5. صفات معنوية أخري:

هناك صفات معنوية، ذكرها شعراء الخوارج في ثنايا شعرهم مثل (الصفح، الرحمة، الصدق، الحلم، الشمائل الجميلة، الحرص علي الخير، هداية البشر، لين الجانب، صلة الرحم، الوقار، حسن الجوار، الوفاء بالوعد).

يقول الجعدي راثيا صالح بن مسرح:

وقد كان ذا رأي مبين ورأفة صفوحا عن العوراء يدفعها عمدا[88]

ويرثي حبيب بن خدرة، عبد الملك بن علقمة:

من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع دارا بأغلى صفقة الدار[89]

ويقول عمران ابن حطان، في رثاء يزيد بن بعثر:

لقد كان في الدنيا يزيد بن بعثر حريصا علي الخيرات حلو شمائله[90]

ويرثي أبا بلال:

قد كان مهتديا يهدي الإله به دوما يصلي، ولا يهوي المصلينا
تركتنا كيتامى باد والدهم فلم يروا بعده خفضا ولا لينا[91]

ويقول عمرو بن الحصين:

متراحمين ذوو يسارهم يتعطفون علي ذوي الفقر

---

[86] السابق ص 152.
[87] السابق ص 178.
[88] السابق ص 38.
[89] السابق ص 44.
[90] السابق ص 129.
[91] السابق ص 133.

وذوو خصاصتهم كأنهم من صدق عفتهم ذوو وفر[92]

ويقول عمرو بن الحصين راثيا صحابته:

حتى وفوا لله حيث لقوا بعهود لا كذب ولا غدر[93]

وترثي مليكة الشيبانية عمها:

من ذا يرجي للنصيحة حين تفتقد النصائـــح؟

أم من يرجي للقريـــب ومن يكون لكل نازح؟

أم من يؤمـــل لليتيـــم وكل ذي غرب ونائح؟[94]

وتقول في أخرى:

أين الذين إذا ذكرت فعالهم عرفوا بحسن عفافة ووقار؟

أين الذين إذا ذكرنا دينهـــم قالت عشائرهم هم الأخيار؟[95]

وترثي الضحاك بن قيس:

حلو الشمائل حين تخبره حسن السريرة ماجد شهـــم

يصل القرابة والجوار إذا قطع القرابة صاحب الظلم[96]

وترثي أخاها:

أين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتى لحاجـــــــة اللهفان؟

ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزي الإحسان بالإحسان

ويكف الأذى ويبتذل المعروف سمح اليدين سبط البنان.[97]

الدراسة الفنية

المحور الأول: الخيال والصورة الفنية

يعد الخيال وسيلة فنية مهمة، لا غنى للشعراء عنه في التعبير، عن تجاربهم الـــشعرية، وما يتصل بها من أفكار ومعان، وعواطف جياشة، وهو عنصر مهم من عناصـــر تـــشكيل

---

92 السابق ص 137.
93 السابق ص 145.
94 السابق ص 201.
95 السابق ص 202.
96 السابق ص 203.
97 السابق ص 203.

صورة الأدب، وله دخل كبير في إثارة العاطفة، وتجميع جزئيات الصورة من عالمها البعيد، والقدرة على الربط بينها. [98]

ويذهب الشايب إلى أن تعريف الخيال تعريفا دقيقا واضحا أمر شاق لأن هذه الكلمة ترد في العبارات مبهمة عامة كأنها تعني شيئا غير مفهوم، ولأنها تدل على صور عقلية متشابهة وان لم تكن متحدة.[99]

ويرى جابر عصفور أنه قدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة، في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك.[100]

ويعتبر الخيال أساسا في تكون الصورة الأدبية، فهو يدخل بطرق شتى في تناوله العاطفة، في حالة التصوير [101]، كما أن آثاره تظهر واضحة في الصورة التي هي ألوانه ووسيلته ومادته المهمة التي يمارس من خلالها فاعليته ونشاطه.[102]

فالصورة الشعرية جوهر الشعر، وأدواته القادرة على الخلق والابتكار، والتحوير والتعديل لأجزاء الواقع، بل واللغة القادرة على استكناه جوهر التجربة الشعرية، وتشكيل موقف الشاعر من الواقع، وفق إدراكه الجمالي الخاص، وطريقة الشاعر في تشكيله اللغوي الجمالي تمثل أسلوبه في إدراك الواقع.[103]

ويمتاز الخيال عند الخوارج، بأنه أكثر واقعية وجدية، لاعتمادهم في استقائه على ثقافتهم، التي اكتسبوها من القرآن الكريم والسنة، كما كان خيالهم تصويرا للحقائق والأفكار التي كانوا يدعون إليها، ويدافعون عنها وقد اعتمدوا في توليد صورهم على القرآن الكريم، وعلى واقع عصرهم وبيئتهم التي كان يغلب عليها الصراعات الفكرية والسياسية، كما

---

98 علي إبراهيم أبو زيد، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص 252.

99 د. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ص 211.

100 جابر منصور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص 13.

101 د. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، م س، ص 242.

102 د. جابر منصور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، م س، ص 14.

103 مدحت الحبار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، القاهرة، 1978، ص 4.

* ورد في روايات أخرى للدميري، وابن خلكان، والتبريزي (غاية بدل منهج، وبدل لم لا، يستلمه المنون بدل يفض به القضاء).

اعتمدوا على الطبيعة في إبراز صورهم، وأخذوها من عناصرها الحية ومشاهدها المختلفة، فهذا قطري بن الفجاءة يقول:

سبيل الموت منهج كل حي وداعيه لأهل الأرض داعـــي *
ومن لم يغتبط يسأم ويهرم ويفض به القضاء إلى انقطاع
وما للمرء خير في حيـــاة إذا ما عد من ســـقط المتـــاع [104]

يجد القارئ لتلك الأبيات، أن الشاعر في تكوينه لهذه الصورة الفنية، اعتمد على القرآن الكريم، الذي نفر في الكثير من آياته من هذه الحياة الدنيا وغرورها، وأقر الحقيقة الكونيـــة الخالدة، المتمثلة بحتمية الموت لكل الكائنات، وقد استلهم ذلك من قوله تعالى: "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" (الرحمن 26،27) وصور الموت وكأن له داعيـــا يدعو الناس، فلا يجدون بدا من الاستجابة إليه، وقد وظف التضاد (يغتـــبط – يهـــرم) فـــي الإشارة إلى هذه الحقيقة، لينطلق إلى الغاية التي أرادها، وهي اختيار الميتة المشرفة (الشهادة في سبيل الله). ولقد غلبت الأوصاف المحسوسة، كالبصر والسمع والذوق والشم واللمـــس، على شعر الخوارج، نذكر منها على سبيل المثال، قول شاعرهم:

وهم الأسود لدى العرين بسالة ومن الخشوع كأنهم أحبار[105]

يصور الشاعر فرسان الخوارج، بالأسود التي تزداد شراسة واستبسالا في الدفاع عـــن عرينها، كما الخوارج في دفاعهم عن عقيدتهم، ويخيل للناظر إليهم من شدة ورعهم وتقواهم، بأنه أمام علماء صالحين، قد جمعوا بين الإصلاح والتقى.

ويقارب الأشل الأزرقي ذلك يقوله:

نعاه لنا كالليث يحمي عرينه وكالبدر يغشي ضوءه كل كوكب [106]

جمع الشاعر في تصويره هذا بين صفة القوة والشجاعة، من خـــلال تـــشبيهه للفـــارس الخارجي بالأسد في عنفوان قوته، وبين صفة الهداية والإشراق، من خلال وصفه له بـــصفة

---

[104] نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 169– 170.

[105] السابق، ص 224.

[106] السابق، ص 19.

البدر، وما تحمله من دلالات النور والكمال.

ويقول أيوب الخولي:

وأجرد محبوك الـــسراة كأنه إذا انقض وافي الريش حجن مخالبه [107]

يستلهم الشاعر صورته الفنية، من البيئة المحيطة به، حيث يصور لنا قوة هذا الحـــصان واندفاعه في ميادين المعركة، وهو طرب مسروربصورةالصقر في انقضاضه على فريسته، وتمتزج في الصورة الذوقية، الحواس من الرائحة، واللمس، والبصر، والـــذوق، والـــسمع. [108] ومن ذلك قول أحدهم:

من كان يكره أن يلقى منيته فالموت أشهى إلى قلبي من العسل [109]

يصور الشاعر حبه للشهادة في سبيل الله، وحرصه عليها، من خـــلال رســـمه لهـــذه المفارقة التصويرية، بين أولئك الذين يكرهون لقاء الموت، وبين تفضيله للموت على العسل، الذي هو محبب للنفس البشرية.

ومن الصور الحسية، التي تعتمد السماع قول شاعرهم:

لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوع
يعالون النحيب إليه شـــوقا وان خفضوا فربهم سميع [110]

يسلط الشاعر، في هذه الصورة الضوء، على مشهد من المشاهد التـــي تعكـــس تقـــوى الخوارج وورعهم، من خلال تصويره لهم، وهم سجود بين يدي الله، ولعـــل فـــي اختيـــاره للظلام، ما يدلل على الرهبة من ناحية، وعلى الإخلاص من ناحية أخرى، وقد وفـــق فـــي اختيار الكلمات الدالة على الرهبة والخشوع: (سجود، أنين، تنفرج، يعالون، النحيب، شوقا، خفضوا)، وقد دلل الشاعر من خلال تقديمه للجار والمجرور (منه) على الفعل (تنفرج) على أن انفراج الضلوع سببه هذا الأنين، وقد وظف التضاد (يعالون _ خفضوا) ليدلل على قدرة

---

107 السابق، ص 30

108 د. نصرت عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ط2، مكتبة الأقصى، عمان، 1982، ص 193.

109 نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 32.

110 السابق، ص 154

الخالق، وعلمه بهم في جميع أحوالهم.

ولقد ركز النقاد القدماء في مفهوم الصورة، على الألوان البيانية، المعروفة، من تشبيه، واستعارة، وكناية، وغيرها.

أولا: التشبيه:

وهو صفة الشيء، بما قاربه وشاكله، من جهة واحده، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه لكان إياه. [111]

ويعد التشبيه من أكثر الفنون البيانية جريانا في الشعر، فهو أقدم صور البيان،و وسائل الخيال، وأقربها إلى الفهم والأذهان. [112] ومن تشبيهات الخوارج قول شمر بن عبد الله اليشكري، في رثاء أخيه.

كمد تجلجل في فؤادي حسرة كالنار من وجد على الريان [113]

يصور لنا الشاعر، الغم والحزن، الذي أصاب فؤاده، فجلجله، فأورثه هذه الحسرة، التي أحرقت قلبه، لفقدانه أخيه، بالنار المحرقة، فالجامع بينهما الإحراق، الذي يعني انعدام الحياة، فلا حياة لقلبه بعد فقدانه لأخيه. وقد وفق الشاعر في اختياره لألفاظه، التي عبرت عن المأساة التي ألمت به (كمد _ تجلجل _ حسرة _ نار _ وجد).

وقول أبو العيزار:

يدنو وترفعه الرماح كأنه شلو تنشب في مخالب ضار [114]

يرسم الشاعر صورة فنية رائعة، لإقدام الفارس الخارجي، واستبساله، فهو يهجم على الأعداء غير آبه بتلك الرماح التي أحاطت به من كل جانب، فيخيل للرائي أنها ترفعه، وكأنه قطعة لحم، تنهشها هذه الحيوانات المفترسة. كما وتوحي الصورة بضراوة المعركة وشراستها.

وقول الطرماح بن حكم:

---

111 ابن رشيق القيرواني، العمدة في مجلس الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1934م، ص 286.

112 أحمد مطلوب، فنون بلاغية، ط1، دار البحوث العلمية، الكويت،1975م، ص 27.

113 نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 79.

114 السابق، ص 14.

إنما الناس مـــثل نابـــتة الزر ع، متى يأن يأت محتصـــده [115]

يكشف لنا الشاعر في هذه الصورة عن الحقيقة الكونية، المتمثلة في أن الفناء مصير كل إنسان، ولكي يقرب هذه الحقيقة للأذهان، يختار لهم تشبيها من واقع حياتهم، حيث يشبه دورة حياة الإنسان، بدورة حياة الزرع، فالإنسان متى يَحن أجله يمت، وكذا الـــزرع متـــى يحـــن موعد حصاده، يحصد. ولقد أراد الشاعر من وراء هذا التشبيه، حث الإنسان على المسارعة في الخيرات، وعدم التعلق بالدنيا الزائلة.

وقول عمران بن حطان في رثاء أبي بلال:

تركـــتنا كيـــتامى باد والدهـــم فلم يروا بعده خفضا ولا لينا [116]

يدلل الشاعر في هذا التصوير، على عمق العلاقة التي تربط، فرسان الخوارج بقائـــدهم أبي بلال، فهي ليست مجرد علاقة قيادة وجند فقط، بل علاقة أب حنون بأبنائه الذين فجعوا بفقدانه، حيث تقطعت بهم أسباب السعادة، من سعة العيش ولين الجانب، وهذا ما كشف عنه النفي (فلم يروا). فحالهم كحال أولئك اليتامى الذين فقدوا والدهم، ولا يخفى علينا ما يمثلـــه الأب، من رمزية الشعور بالأمن والاستقرار.

وقول عمرو بن الحصين:

متأوهون كأن جـــمر غضـــى للخوف بين ضلوعهم يسري

تـــلـــــقاهـــم ألّاً كـــأنـــهـــم لخشوعهم صدروا عن الحشر [117]

يصور لنا الشاعر في هذه اللوحة الفنية المؤثرة، تقوى الخوارج، وشدة خشوعهم، حيث يتأوهون بين يدي الله، فمن كثرة أنينهم، يخيل للرائي وكأن جمر الغضى (شجرة خشبها من أصلب الخشب، وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفئ) يسري بين ضلوعهم، فيصدر عنهم هذا الأنين. ومن شدة خشوعهم في دعائهم يخيل إليك، وكأنهم في يوم القيامة، ولا يخفى علينا ما لهذا اليوم، من رهبة تنسي الإنسان، ما حوله، فلا يفكر إلا بالنجاة والسلامة.

---

[115] السابق، ص 84.
[116] السابق، ص 133.
[117] السابق، ص 142

ثانيا: الاستعارة:

وهي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة، إلى غيره لغرض، إما أن يكــون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو يحسن الغرض الذي يبرز فيه.[118]

ومن استعاراتهم قول شاعرهم:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفت[119]

شبه الشاعر، في هذه الاستعارة المكنية، الموت بصائد يتربص بفرسيته.

وقد كشف لنا الشاعر في هذه الصورة الفنية، عن قوة الفارس الخارجي، وعدم خشيته مــن الموت الملازم له في كل مكان يذهب إليه، بل هو غاية يتمناها، ويحرص عليها، ولعل فــي استخدامه للأفعال المضارعة، ما يكشف عن استمرارية الملازمة والطلب (أرى – يلاحظني _ أتلفت) ولعل في قوله (كامنا يلاحظني) ما يوحي بشدة طلب الموت له، حيث يحيط به من كل جانب، في انتظار الفرصة المناسبة للانقضاض عليه، وهذا ما يريده الفارس ويتمناه.

وقول عيسى بن فاتك:

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأرض في الدنيا هجوع[120]

يصور لنا الشاعر، في هاتين الاستعارتين المكنيتين، نوم الخوارج بطائر حذر، والخوف بصياد يريد اقتناصه، ولعله أراد من وراء ذلك، أن يكشف لنا عن ورع الخــوارج وشــدة خوفهم من الله، ومن الموت أن يداهمهم في كل لحظة، فيقضون ليلهم، قائمين بين يــدي الله عز وجل. كما أنه أراد أن يثبت للخوارج صفة الذكر، ولأهل الأرض صفة الغفلة، ولعل هذا ما نلمسه في التضاد بين (فقاموا –هجوع).

وقول الجعدي بن ابي صمام الهذلي في رثاء صالح بن مسرح:

أيا عين فابكي صالحا، إن صالحا شرى نفسه لله يبغى بها الخلدا [121]

---

118 أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، ط2، دار الكتــب العلميــة، بيــروت، 1984م، ص 295.

119 نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 35.

120 السابق، ص 154

121 السابق، ص 38

في البيت استعارتان مكنيتان ، تكشف الأولى (أيا عين) عن حب الشاعر لـصالح، مـن خلال طلبه من عينه البكاء، والعين لا تبكي إلا عزيزا، ولعل في استخدامه لأداة النداء (أيا) ما يدل على اللهفة والحسرة. وتكشف الثانية (شرى نفسه) عن حب صالح للـشهادة، طمعـا فيما عند الله من أجر عظيم، وقد أكد ذلك باستخدامه أداة التوكيد (إن)، ليدلل على حـرص صالح الشديد، على الشهادة وسعيه لها. وقد استلهم الشاعر في هذا البيت، قوله تعالى "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله" (البقرة:207) وقد أراد الشاعر، من خلال هـذه الصورة، أن يوضح، أن الطريق الوحيد لاكتساب مرضات الله، والفوز بنعيمـه، هـو بيـع النفس لله، لأنه في حقيقة الأمر، عندما يبيع الإنسان نفسه، هو يشريها ويعتقها من الحـساب والعذاب. وقد أكد معنى (الشراية) كثير من شعراء الخوارج، من خلال إطـلاق مـصطلح "الشراة" على فرسان الخوارج.

وقول عمرو بن الحصين، في رثاء علي بن الحصين:

لم ينفك في جوفه حزن تغلي حرارته وتستشري[122]

صور الشاعر الحزن بالماء الساخن، على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد كشف الشاعر في هذه الصورة الفنية، عن صفة ملازمة الحزن لفرسان الخـوارج، وهو حزن وصل إلى أعلى درجاته، كما الماء المغلي الذي تجاوز درجة الغليان. وقد وظف الشاعر أداة النفي، والأفعال المضارعة (لم، ينفك، تغلي، تستشري) للتدليل علـى أن هـذا الحزن، كان ومازال، ويزداد، وفيه إشارة إلى أن ذلك سمة بارزة في فرسـان الخـوارج، نتيجة لطبيعة ظروفهم، وزهدهم في هذه الحياة، وعدم رضاهم عن الواقع.

وقول أحدهم:

وإن كريه الموت عذب مذاقه إذا ما مزجناه بطيب من الذكر[123]

شبه الشاعر الموت بشراب له مذاقه، على سبيل الاستعارة المكنية.

حيث صور لنا الشاعر في هذه اللوحة الفنية الرائعة، رؤية الخـوارج للمـوت، وهـي تختلف عن نظرة الآخرين له، فالنفس البشرية، جبلت على كراهية الموت، ومع ذلك يـسعى

[122] السابق، ص 144
[123] السابق، ص 226

إليه الخوارج، ويبحثون عنه، ويكشف الشاعر من خلال هذا التصوير، عن فلسفة الخوارج، فالموت عندهم غاية ينشدونها، لأنهم عمروا دنياهم، بذكر الله، فهم يستعجلون لقاءه، حتى يتحصلوا على الثواب العظيم الذي ينتظرهم. كما أن فيه إشارة إلى غفلة الآخرين، التي أودت بهم إلى كراهية الموت. وقد استخدم الشاعر أداة التوكيد (إن) للتدليل على هذه الحقيقة.

وقد لاحظ الباحث غلبة الاستعارة المكنية على النماذج التي تعرض لها، ولعل ذلك يعود إلى لجوء شعراء الخوارج إليها، من أجل تجسيد الأمور (المعنوية، الحسية) التي تطرقوا إليها (الموت، الخوف، النوم، العين، النفس، الحزن)، بقصد تقريبها وتوضيحها للأذهان.

ثالثا: الكناية:

تلعب الكناية دورا كبيرا، في نفسية الشاعر، فمن خلالها يستطيع إفصاح ما خفي في نفسه وتبيينه، أو ما لا يستطيع أن يعبر عنه بصراحة، فيعمد إلى الكناية، التي تعتمد على التلميح أكثر من التصريح، والتي تيسر للمرء أن يقول كل شيء، وأن يعبر عن كل ما يجول بخاطره. (124)

فمن كناياتهم قول شاعرهم:

ترى عافيات الطير يحجلن حولهم يقلبن أجساما قليلا لحومها (125)

أراد الشاعر من وراء هذا التصوير، أن يلفت انتباه المتلقي، إلى زهد الخوارج في هذه الحياة، وقد استلهم تصويره، من البيئة المحيطة به، فالمعلوم أن الطيور الجارحة، تجتمع على الأشلاء الممزقة، والجثث المتناثرة، لكنها تصاب بخيبة أمل، عندما تحط على جثث الخوارج، لقلة لحومهم، لزهدهم ولكثرة صومهم، وقد وفق الشاعر في استخدامه لألفاظه (يحجلن، حولهم، يقلّبن) للدلالة على صعوبة الحصول على مبتغاها من اللحم.

وقول الخيبري الشيباني، في رثاء عبد الملك بن علقمة:

فلا رعش اليدين، ولا هدان ولا وكل اللقاء، ولا كهام (126)

124 علي ابراهيم أبو زيد، الصورة الفنية، م س، ص 52
125 نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 47
126 السابق، ص 59

يصور لنا الشاعر، من خلال هذه الكنايات المتعددة، قوة وشجاعة هذا الفارس المقـدام، ولعل في تكراره لأداة النفي (لا) ما يدلل على نفيه لكل صفات الجبن، عن فارسه، وبالتالي إثباته لكل صفات القوة التي تقابلها. فهو ليس بالضعيف الذي ترتعش يداه عند اللقاء، ولـيس بالثقيل في الحرب، ولا الجبان البليد، ولا البطيء الكليل.

وقول ليلى بنت طريف في رثاء أخيها:

تضمن سروا حاتميا وسؤددا وسؤرة ضرغام وقلب حصيف [127]

كشفت الشاعرة، من خلال هذه الكنايات المتنوعة عن المزايا التي تميز بها هذا البطل، فقد جمع بين الكرم، والسيادة، والقوة، ورجاحة الرأي وهي صفات ما اجتمعت في رجل إلا رفعت ذكره وخلدته، ولعلها أرادت من وراء ذلك، أن تبين عظم المصيبة التي ألمت بهـا، لفقدانها هذا البطل.

وقول مليكة الشيبانية في رثاء أخيها:

أين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتى لحاجة اللهفان؟ [128]

عبرت الشاعرة، من خلال هذا التساؤل، الذي يعكس مرارة الحزن والأسى، ومن خلال كناياتها المتنوعة، من صلة للرحم، وإغاثة للملهوف، عن المصاب الجلـل الـذي أصـابها، لفقدانها هذا الأخ.

وقد استطاع شعراء الخوارج، أن يرقوا بصورهم، إلى مستوى فنـي رائـع، فحركـوا المشاهد الجامدة، وجعلوها تنبض بالحياة، كما شخصوها، وخلعوا عليهـا صـفات البـشر، وجسموا المعنويات، وأظهروها بمظاهر حسية تتحرك، ولـك أن تتخيـل هـذه المقطوعـة الشعرية الجميلة، التي اشتملت على أكثر من صورة جزئية، وكونت في النهاية صورة كلية، يقول فروة بن نوفل:

هم نصبوا الأجساد للنبل والقنا فلم يبق منها اليـوم إلا رميمـها
تظل عتاق الطير تحجل حولهم يعلـلن أجسـادا قليـلا نعيمـها
لطافا براها الصوم حتى كأنهـا سيوف إذا ما الخيل تدمى كلومها[129]

[127] السابق، ص 182.
[128] السابق، ص 203.
[129] السابق، ص 159

صور الشاعر من خلال الصورة الجزئية التي أوردهـا، فـي البيـت الأول، أجـساد الخوارج، وكأنها أهداف تصوب عليها النبل والرماح، وكأنهم أوقفوا هذه الأجـساد للحـرب والقتال، وفيه كناية أيضا عن كثرة المعارك التي خاضها الخوارج، إذ لم يبـق مـن هـذه الأجساد إلا الرميم البالي. وقد كنى الشاعر في البيت الثاني، عن زهد الخوارج فـي هـذه الحياة. أما البيت الثالث ففيه كناية وتشبيه يدلان على ورع الخوارج، وزهدهم. وقد تضافرت هذه الصور الجزئية، وكذلك عناصر الصوت واللون والحركة (النبل، القنا، السيوف، الطير، الخيل) في رسم الصورة الكلية، التي تعطينا معالم هذه الجماعة، المتمثلة في الزهد في الدنيا، والرغبة في نيل الشهادة.

ويرسم لنا الشاعر، عمرو بن الحصين، لوحة فنية مؤثرة، يكشف فيها الشاعر، عن ورع صحابته، وقوة إيمانهم، من خلال صوره الجزئية التي أوردها، فشكلت لنا هـذه الـصورة الكلية، المعبرة عن عمق هذا الإيمان، حيث يقول:

إلا تجـيئـــهم فإنهـــم رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضى للخوف بين ضلوعهم يسري
تـلقـاهم ألّاً كأنهـــم لخشوعهم صدروا عن الحشر
لا ليلـــهم ليـل فيلبسهم فـيه غواشي النـوم بالسـكر
إلا كـــذا خلسا وآونـة حذر العقاب وهم على ذعر[130]

تكشف الصورة الجزئية، في البيت الأول، عن شدة خشوع الخوارج، وهم في حـضرة الذكر، فخشوعهم ترتجف منه القلوب، فيدفعهم للتأوه والأنين خوفا وخشية مـن الله، وكـأن جمر الغضى يلهب ضلوعهم، وهذا ما عبرت عنه الصورة الجزئية الواردة في البيت الثاني، ويخيل إليك في البيت الثالث، وأنت تنظر إليهم، وهم في دعائهم ومناجاتهم لله، وكأنهم فـي يوم القيامة. ويبين الشاعر، من خلال صوره الجزئية الواردة في البيت الرابع، حالهم وكـأن مرضا معديا حل بهم، أو مسهم طرف من الجنون، ويكني الشاعر في البيت الخـامس عـن طول قيامهم في الليل، فلا يعرفون للنوم طعما، ولعل في استخدام الشاعر لضمير الجمع، ما يدلل على أن هذه الحالة سمة غالبة على جميع الخوارج. فكل هذه الصور الجزئية، وكـذلك

[130] السابق، ص 141- 142

امتزاج عناصر الصوت واللون والحركة (رجف القلوب، الذكر، متأوهون، جمر، يسري، ألا، ليل، العقاب) أسهمت في رسم الصورة الكلية، المعبرة عن ورع الخوارج، وعمق إيمانهم.

المحور الثاني: اللغة والأسلوب:

تلعب اللغة دورا أساسيا في بناء القصيدة، فهي أداة التعبير، باعتبار أنها إدراك حسي للأشياء، وتجريد لها، فهي محاكاة للطبيعة، ومجموعة رموز دالة على الأفعال والأشياء.[131] ولهذا اهتم النقاد باللفظ، ورأوا أن حسن انتقاء الشاعر لألفاظه وكلماته، ووضعها في مكانها المناسب، ومناسبتها مع السياق، وملائمتها لطبيعة الموضوع، يعتبر من أهم مقاييس الجودة، يقول الجاحظ: "أجود ما رأيته متلائم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا".[132]

ودراسة الألفاظ لها أهمية كبرى في الشعر، تستمدها من جزئيتها في اللغة، التي تعتبر الخطوة الأولى، في تحقيق الجودة في التعبير، والارتقاء بالمعنى.[133]

ولقد تأثرت لغة شعراء الخوارج، بظروف عصرهم القائم على الصراعات السياسية والفكرية، وكذلك بالعقيدة الفكرية التي آمنوا بها، وكان لها دورها الأكبر، في صقل لغتهم، وقد تنوعت ألفاظهم بين القوة والجزالة، وبين السهولة والوضوح، على حسب طبيعة الموضوع الذي يتناولونه، ومن الألفاظ التي غلب عليها طابع السهولة والهدوء، قول شاعرهم قطري بن الفجاءة:

أقول لنفسي حين طال حصارها وفارقها للحادثات نصيرها
لك الخير موتي إن في الخير راحة فيأتي عليها حينها ما يضيرها
فلو أنها ترجو الحياة عذرتها ولكنها للموت يحدى بعيرها[134]

يجد المتأمل لهذه الأبيات، الطابع الهادئ الذي تميز به، هذا الحوار القائم بين الشاعر

---

[131] د. ساسين عساف، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1972/، ص 14.

[132] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ت، ص 67.

[133] د. علي ابراهيم أبو زيد، الرؤية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعر السيد الحميري، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 321.

[134] نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 166

ونفسه، وتوسله لها لتجيبه طلبه، بالإقدام والشهادة، وقد استخدم في هذا الحوار، الكلمات الرقيقة اللينة، (أقول، الخير، ترجو، عذرتها، يحدي)

ومن الألفاظ التي غلب عليها طابع الجزالة، قوله:

أقول لها وقد جاشت حياءً ... من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو طلبت حياة يوم ... علي الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع
وما طول الحياة بثوب مجد ... فيطوى عن أخي الخنع اليراع
ومن لم يغتبط يسأم ويهرم ... ويفضي به القضاء إلى انقطاع [135]

لا يخفى علينا ما في هذه الأبيات من ألفاظ جزلة، ارتبطت بعاطفة الشاعر، واحاسيسه وما يؤمن به من عقيدة ورؤية فكرية(جاشت، ويحك، تراعي، تطاعي، يطوي، الخنع، اليراع، يغتبط ...).

ويجد المتتبع لشعر الخوارج، اعتماد الشعراء على ألفاظ القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام، في إثراء شعرهم، ومن تلك الألفاظ (كوكب، نجم، الليل، الله، غالب، آلاء، الخير، دنيا، تزود، عاهد، نحبه، الملائك، الموت، الأجل، شرى، نفس، الخلد، يوعد، الخاشع، يخش، يطمع، معروف، يجاهد، تبوؤا، الغرف العلا، صبر، الأبرار، حرق، الأنهار، يشكو، .....) وندلل على ذلك ببعض الأمثلة:

يقول حبيب بن خدرة:

فصرت صاحب دنيا لست أملكها ... وصار صاحب جنات وأنهار[136]

وقول شاعرهم:

أبكي لنفسي، لا لهم أبكيهم ... لا صبر حيث تعارف الأبرار [137]

وقول الجعدي:

شباب أطاعوا الله حتى أحبهم ... وكلهم شار يخاف ويطمع [138]

---

135 السابق، ص 169- 170
136 السابق، ص 44
137 السابق، ص 43
138 السابق، ص 38

وقول أيوب بن خولي:

كفى حزنا أني تذكــرت جابرا على جابر صلت خيار الملائك
قتيــل قضى إذا عاهد الله نحبه ولم ينتظر إذ قيل إنك هــالك[139]

وقول أم عمران:

الله أيــد عمرانــا وطــهــره وكان عمران يدعو الله فــي الــسحر [140]

وقول الأشل:

نعاه لنا كالليــث يحمي عرينه وكالبدر يغشى ضوءه كل كوكب [141]

وقول شاعرهم:

إلا تجــيئــهم فإنهــــم رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوه يتــلو قــوارع من آي القرآن مفزع الصــــدر[142]

كما واستقى شعراء الخوارج ألفاظهم من البيئة المحيطة بهم، منها: (القواضــب، القنــا، الجبل، العود، الحسام، الضرغام، الخيل، النقع، حلق الحديد، النيران، الشجر، الحجر،...)

وندلل على ذلك ببعض الأمثلة، منها:

قول شاعرهم:

فشعارهم نيران حربهم ما بين أعلى الشجر فالحجر [143]

وقول عمرو بن الحصين:

متسربلــي حلق الحديد كأنــهم أسد على لحق البطون سلاهب [144]

وقول عبيدة بن هلال:

وما كان في جمع المحلين فارس يبارزه في النقــع غير حبيــب [145]

---

[139] السابق، ص 30.
[140] السابق، ص 28.
[141] السابق، ص 19.
[142] السابق، ص 141-142.
143 السابق، ص 145.
144 السابق، ص 140.
145 السابق، ص 93.

وقول الجعدي:

وقد كان في الحرب العوان يشبها ويسعرها بالخـــيل محبوكة جردا [146]

وقول أم عمران:

ولـــى صحابته عن حر ملحـــمة وشد عمران كالضرغامة الهصـــر[147]

وقول الأشل الأزرقي:

وأصـــبر من عـــود إذا ســـرى من النجم في داج من الليل غيهب

وأذرب من حد السنـــان لسانـــه وأمضى من السيف الحسام المشطب[148]

وقول أبو العيزار:

ومسوم للمـــوت يركب ردعـــه بـــين القواضـــب والقـــنا الخطـــار[149]

ويلاحظ مما سبق أن أكثر الألفاظ مستمدة من واقع الحروب والصراعات التي خاضـــها الخوارج، فهي ترتبط بالقتال، والحرب، والفروسية،وأدوات الحرب، وشدة البأس، والصبر، والموت ..... الخ.

ظواهر أسلوبية:

التناص:

لا يستدعي الشاعر المتناص مع القرآن الكريم، بحسبانه مرجعية شـــرعية، ذات بعـــد معنوي فقط، وإنما بوصفه جزءا من البنية الدلالية للنص الشعري. ولهذا فالإشارات القرآنية لا تشكل عبئا على جسد النص، بل ترتبط به عضويا، وبنيويا ودلاليا، وهذا تنويع جديد على نفس الموقف يؤكد أن العملية، ليست مجرد عملية اقتباس، وإنما هي عملية تفجير لطاقـــات كامنة في هذا النص، يستكشفها شاعر بعد آخر، وكل حسب موقفه الشعري الراهن. [150]

ويجد المتأمل لشعر الخوارج، في وصفه لشهدائهم، أن شعراءهم قد اقتبسوا من القـــرآن

---

146 السابق، ص 38.

147 السابق، ص 28.

148 السابق، ص 19.

149 السابق، ص 14

150 د. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، المكتبة الأكاديمية، 1992م، ص 36.

الكريم، وأن ظاهرة التناص مع آياته، قد بدت جلية واضحة، في شعرهم.

تقول مليكة الشيبانية في رثاء أخيها:

ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزي الإحسان بالإحسان [151]

فقد استقت الشاعرة قولها، من الآية الكريمة "وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان" (الرحمن:60).

وقولها في رثاء الضحاك بن قيس الخارجي:

ذهب الذي قد كان يأمرنا بالخير والمعروف والذكر [152]

فهذا البيت يتناص، مع قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (آل عمران:104).

ويقول قيس بن الأصم، في قتلى النخيلة:

قوما إذا ذكروا بالله أو ذكروا خروا من الخوف، للأذقان والركب[153]

يتناص الشاعر في هذا البيت، مع قوله تعالى: "إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا" (الاسراء:107)

ويقول أيوب بن خولي:

قتيل قضى إذ عاهد الله نحبه ولم ينتظر إذ قيل أنك هالك[154]

نجد التناص في هذا البيت مع قوله تعالى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" (الأحزاب: 23)

ويقول حبيب بن خدرة، متناصا مع قوله تعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها" (العنكبوت: 58)

أبكي الذين تبوؤا الغرف العلا فجرت لهم من تحتها الأنهار[155]

---

151 نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 203.
152 السابق، ص 202.
153 السابق، ص 177.
154 السابق، ص 30.
155 السابق، ص 43.

ويقول الرهين المرادي:

تخال صفهم في كل معترك للموت سورا من البنيان مرصوصا [156]

يتناص الشاعر في هذا البيت، مع قوله تعالى: " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص" (الصف: 4).

ويقول عمرو بن الحصين:

صرعى فخاوية بيوتهم وخوامع بجسومهم تفري [157]

يستلهم الشاعر في هذا البيت، ما جاء في قوله تعالى "فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية" (الحاقة: 7).

ويقول قطري بن الفجاءة:

ولست أرى نفسا تموت وان دنت من الموت، حتى يبعث الله داعيا [158]

يتناص الشاعر في هذا البيت، مع قوله تعالى: "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا" (آل عمران: 145).

وتقول أم عمران في رثاء ولدها:

يدعوه سرا وإعلانا ليرزقه شهادة بيدي ملحادة غدر [159]

تستلهم الشاعرة، قوله تعالى: " الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية" (البقرة:274).

ويمكن أن نعزوا كثرة اعتماد الخوارج، على القرآن الكريم، لحرصهم على خدمة أفكارهم التي نادوا بها، وسعوا إلى تطبيقها، لما لهذا القرآن من أثر عظيم، في التأثير على النفوس.

الالتفات:

وهو أن يكون الشاعر آخذا في معنى، فكأنه يعترضه، إما شك فيه أو ظن بأن رادا، يرد عليه قوله، أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ما قدمه، فإما أن يذكر سببه، أو يحل

---

156 السابق، ص 63.
157 السابق، ص 145.
158 السابق، ص 176.
159 السابق، ص 28.

الشك فيه. [160]

ويرى ابن رشيق أن هناك من سماه الاعتراض، وغيرهم سماه الاستدراك، وعده جماعة تتميما[161]، أما ابن المعتز، فقد وضع له تعريفا واضحا، فلم يعد من الالتفات إلا ما كان "انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار". [162]

ومن التفاتات الخوارج، قول أبو العيزار:

فثوى صريعا، والرماح تنوشه إن الشراة قصيرة الأعمار
أدباء إذا ما جئتهم خطباء ضمناء كل كتيبة جرار[163]

لقد التفت الشاعر، من الغائب إلى الخطاب، حيث وظف هذا الالتفات، في تعداد مناقب جماعته من الخوارج.

وقول أخت حازوق الخارجي:

أعيني جودا بالدموع على الصدر على الفارس المقتول في الجبل الوعر
فان تقتلوا الحازوق وابن مطرف فانا قتلنا حوشبا وأبا حشر[164]

التفتت الشاعرة، في هذين البيتين، من المتكلم إلى الخطاب، وقد وظفت هذا الالتفات للانتقال من حالة الحزن التي ألمت بها، لفقدانها أخيها، إلى التعالي على الجراح والمفاخرة بما أوقعوه من قتل في صفوف أعدائهم.

وقول أيوب بن خولي:

تركنا تميما في الغبار ملحبا تبكي عليه عرسه وقرائبه
وقد أسلمت قيس تميما ومالكا كما أسلم الشحاج أمس أقاربه[165]

وظف الشاعر التفاته، من المتكلم الى الغائب، لاستدراك ذكر قادة أعدائهم الذين نكل بهم الخوارج.

وقول الجعدي:

---

160 أبو هلال العسكري، الصناعتين، م س، ص 438.
161 العمدة، ابن رشيق، م س، ص 45.
162 عبد الله بن المعتز، البديع، تحقيق أغناطيوس كراتشقوفنكي، مكتبة المثنى، بغداد، ص 58.
163 نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 14.
164 السابق، ص 17.
165 السابق، ص 29.

أيا عين فابكي صالحا، إن صالحا شرى نفسه لله يبغي بها الخلـــدا
وقد كان ذا رأي مبـــين ورأفـــة صفوحا عن العوراء يدفعها عمدا[166]

يلتفت الشاعر في هذين البيتين، من المتكلم إلى الغائب، ليبين من خلال تعداد مناقب هذا القائد الخارجي، أنه جدير بالبكاء عليه.

وقول زياد الأعسم:

أقيم على الدنيا كأني لا أرى زوالا لها، وأحسب العيش باقيـــا
ألا فاذكرن داود إذ باع نفسه وجاد بها إذ يبغى الجنان العواليا[167]

يلتفت الشاعر، من المتكلم للخطاب، ليؤكد على الغاية السامية، المتمثلة ببيع الـــنفس لله، وعدم الاغترار بهذه الحياة الفانية.

وتكمن فائدة الالتفات، في التنبيه، وجعل النفوس متعلقة بما يقال، ويبعد عنها الملل، الذي قد يصيبها، من طول الاسترسال في الموضوع على صورة واحدة.

التشابه والتكرار:

وهو تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة، إما للتوكيد، أو لزيـــادة التنبيه، أو للتهويل، أو للتعظيم، أو للتلذذ بذكر المكرر. [168]

وقد رأت نازك الملائكة، أن التكرار كباقي الأساليب، يحوى إمكانـــات تعبيريـــة تغنـــي المعنى، وترفعه إلى مرتبة الأصالة، إذا استطاع الشاعر الـــسيطرة عليـــه ســـيطرة كاملـــة واستخدمه في موضعه.[169]

ويعتبر التكرار وسيلة قوية التأثير، لاقتراح اللون العاطفي الحزين أو الهائم، أو الطرب، الذي تراد إشاعته في الأسماع، والقلوب قبل البلوغ إلى الغرض.[170]

---

166 السابق، ص 38.
167 السابق، ص 65.
168 ابن معصوم (علي بن السيد بن أحمد المعصوم الدشتكي)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي سكر، ط1، النجف، مطبعة النعمان، ج5، ص 34- 35.
169 نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ط48، بيروت، دار العلم للملايين، 1989، ص 263.
170 عبد الله الطيب، المرشد الى فهم أشعار العرب وصـــناعتها، ط2، ج2، دار الفكـــر العربـــي، 1975م، ص 521.

ويرجع الدكتور إحسان عباس، غلبة سمة التكرار وبروزها في شعر الخوارج إلى أن الحاجات التي يعبر، عنها هذا الشعر محدودة ومشتركة بين شعراء الخوارج، ويرى أن التكرار لا ينقص من درجة الصدق والإخلاص في هذا الشعر، وذلك لأنه ليس تكرارا بالتقليد أو الاستدعاء لنموذج شعري غالب.[171]

كما ويرجع التشابه في شعرهم إلى ضيق النطاق الذي فرضه الزهد على الشاعر، فإذا أراد أن يتحدث عما يحتاجه من دنياه، لم يتذكر سوى آلة الحرب التي تمكنه من القيام بواجبه تجاه ربه[172]. وكذلك يعود التشابه الى طبيعة التجربة الواحدة، التي مر بها أكثر الشعراء، وظروفهم، وطبيعة حياتهم، ومواقفهم التي لا تختلف كثيرا. ومن الأمثلة على ذلك:

قول عطية بن سمرة:

وحسبي من الدنيا دلاص حصينة ومغفرها يوما وصدر قناة
وأجرد محبوك السراة مقلص شديد أعاليه، وعشر شراة[173]

فهذا مشابه لقول عمرو القنا:

فحسبي من الدنيا دلاص حصينة وأجرد خوار العنان نجيب
معي كل أواه برى الصوم جسمه ففي الوجه منه نهكة وشحوب[174]

وقول أيوب بن خولي:

تزود من دنياه درعا ومغفرا وعضبا حساما لم تخنه مضاربه
وأجرد محبوك السراة كأنه إذا انقض وافي الريش حجن مخالبه[175]

يلاحظ من الأبيات السابقة: أن هناك تشابها كبيرا في المعاني والألفاظ. فبصدر البيت الأول من قول عطية بن سمرة يشبه صدر البيت الأول من قول عمرو بن القنا (حسبي من الدنيا دلاص حصينة)، وعجز البيت الأول من قول عطية بن سمرة يشبه في معناه صدر البيت الأول من قول أيوب بن خولي، وهناك تشابه في اللفظ والمعنى في صدر البيت الثاني

[171] د. حسان عباس، ديوان شعر الخوارج، جمع وتحقيق د. حسان عباس، ط4، دار الشروق، 1982م، ص 23.
[172] السابق، ص23.
[173] نايف معروف، ديوان الخوارج، م س، ص 104.
[174] السابق، ص 147
[175] السابق، ص 30.

من قول عطية بن سمرة، وعجز البيت الأول من قول عمرو القنا، وصدر البيت الثاني من قول أيوب بن خولي.

ويقول أحدهم في معنى بيع الدنيا بالآخرة:

حتى أبيع الذي يفنى بآخرة تبقى على مرداس وطواف[176]

ويقول أبو بلال:

إني وزنت الذي يبقى بعاجلة تفنى وشيكا، فلا والله ما اتزنا[177]

ويقول الرهين المرادي:

إني لبائع ما يفنى لباقية إن لم يعقني رجاء العيش تربيصا[178]

فالتشابه بين الشعراء واضح في الأبيات السابقة، في معنى (بيع الدنيا بالآخرة).

وقول حجية بن أوس في الدلالة على زهد الخوارج:

ترى عافيات الطير يحجلن حولهم يقلبن أجساما قليلا لحومها [179]

وقول فروة بن نوفل:

تظل عتاق الطير تحجل حولهم يعللن أجساما قليلا نعيمها [180]

يلاحظ أن التشابه في هذين البيتين كبير وواضح، في المعنى واللفظ، ولا يوجد اختلاف إلا في بعض الألفاظ (ترى- تظل، يقلبن- يعللن، لحومها- نعيمها) التي لا تخل بتشابه المعنى.

ومن الأمثلة على التكرار قول الجعدي مؤكدا فضيلة هذا القائد المرثي:

أيا عين فابكي صالحا، إن صالحا شرى نفسه لله يبغي بها الخلدا[181]

---

176 السابق، ص 229.
177 السابق، ص 195.
178 السابق، ص 63.
179 السابق، ص 47.
180 السابق، ص .159
181 السابق، ص 48.

وقول حبيب بن خدرة، مؤكدا حرارة ألمه بالبكاء، على قتلى الخوارج:

أبكي الذين تبوؤا الغرف العلا فجرت لهم من تحتها الأنهار
أبكي لنفســي، لا لهم أبكيهــم لا صبر حيث تعارف الأبرار[182]

فتوظيف الشاعر لصيغة المضارع في البكاء، يدل على الاستمرارية في هذا البكاء، حتى يكتب له ما كتب لهم من القتل والشهادة.

وقول زياد الأعسم:

فان يك داود مضى لسبيــله فقد كان ذا شوق إلى الله تاليا
وقد كان ذا أهل ومال وغبطة وكان لما يفنى من العيش قاليا[183]

لقد وظف الشاعر، التكرار في صيغة كان، للدلالة على تقوى وورع من يرثي، بتعــداد مناقبه.

وقول عمران بن حطان:

يا جمــر قد مــات مرداس وأخوته وقبــل موتهــم مــات النبيونا
يا جمر لو سلمت نفس مطهرة من حادث لم يزل يا جمر يعيينا[184]

يوظف الشاعر التكرار، في مخاطبته لابنة عمه "جمر" لحملها ولإقناعها بحقيقة هذه الدنيا الزائلة، التي لم ولن تدم لأحد على وجه هذه المعمورة.

وقول عمرو بن الحصين في رثاء أبي حمزة:

ظمآن وقــدة كل هاجــرة تــراك لذتــه عــلــى قــدر
تراك ما تهوى النفوس إذا رغب النفوس دعت إلى النذر[185]

لقد وظف الشاعر التكرار (تراك، النفوس) للدلالة على ورع هذا القائد الشهيد، ولعل في استخدامه لصيغة المبالغة، ما يدل على ذلك.

وقول الشيبانية في رثاء عمها:

---

[182] السابق، ص 43.
[183] السابق، ص 65.
[184] السابق، ص 133.
[185] السابق، ص 142.

أم من يرجى للقريب ومن يكون لكل نازح؟
أم من يؤمل لليتـــيم وكل ذي غرب ونائح؟
أم من يعم صديقـــه خيرا ويحجر كل نابح؟[186]

أرادت الشاعرة من خلال تكرار صيغة التساؤل (أم من) في هذه الأبيات، التدليل علـــى كثرة مناقب هذا الفقيد، وهو تساؤل يحمل في طياته الحيرة والحزن الشديد. وهذا ما عبرت عنه في قصيدة أخرى:

أصبرت عن عمي الذي قد كان بالمعروف آمر؟
أصبرت عن عمي الذي كان المؤامر والمؤازر؟ [187]

الصيغ الإنشائية:

لقد تنوعت الصيغ الإنشائية، في شعر الخوارج، كالأمر، والنهي، والنداء، والاســتفهام، وغيرها، حيث استخدمها شعراؤهم كبديل عن المقدمات التقليديـــة، تقـــول أخـــت حـــازوق الخارجي:

أعيني جودا بالدمـــوع على الصدر على الفارس المقتول في الجبل الوعر[188]

تنوع الشاعرة في هذا البيت، في أساليبها الإنشائية، من نداء وأمر متلمسة مـــن عينيهـــا الجود بالبكاء على هذا الفارس الهمام. ويلاحظ في شعر الخوارج أن معظم قصائدهم، جاءت بلا مقدمات، وقد غلب على قصائدهم المقطوعات، وهذا ما دفعهم للاستغناء عـــن المقدمـــة التقليدية، واستعاضوا عنها بأسلوب المحاورة والتساؤل الذي يجعل الشاعر يدخل مباشرة في موضوعه، ولعل ذلك يعود إلى حالة الشاعر النفـــسية، وطبيعـــة التجربـــة التـــي عاشـــها، والظروف التي أحاطت به أثناء نظم القصيدة.

يقول أيوب بن خولي راثيا أصحاب شوذب الخارجي:

فيا هدب للهيجا، ويا هدب للندى ويا هدب للخصم الألد يحاربه [189]

---

[186] السابق، ص 201.
[187] السابق، ص 201.
[188] السابق، ص 17.
[189] السابق، ص 29.

وظف الشاعر النداء لتعظيم المنادى، وتعداد مناقبه.

وهذا ينطبق على قول حسان بن سعدة:

يا عين، أذر دموعا منك تسجاما وابكي صحابة بسطام وبسطاما[190]

وقول سلامة بن عامر القشيري، راثيا النمري:

ألا خبراني _بارك الله فيكما _ متى العهد بالخطار يا فتيان؟[191]

وقول الضحاك بن قيس، راثيا سعيد بن بهدل:

فيا ملحق الأرواح، هل أنت ملحقي بموتى مضى فيهم سعيد بن بهدل؟[192]

يتمنى الشاعر من خلال هذا النداء وهذا التساؤل _ على الله_ أن يعجل له باللحاق بمن أحب من قتلى الخوارج، وتعكس هذه الأمنية في طياتها الحسرة على فقدان الأحبة، والإصرار على طلب الشهادة.

وقول عمران بن حطان:

إن كنت كارهة للموت فارتحلي ثم اطلبي أهل أرض لا يموتونا[193]

وظف الشاعر في هذا البيت صيغة الأمر (فارتحلي، اطلبي) معجزا به هذه النفس التي أرادت التعلق بهذه الحياة الدنيا الفانية، ومقرا الحقيقة الكونية الخالدة، أن الموت نهاية كل كائن حي.

وقول ليلى بنت طريف، في رثاء أخيها:

فلا تجزعا يا بني طريف فإنني أرى الموت نزالا بكل شريف[194]

يجد المتأمل لشعر الخوارج، أنه لا تكاد تخلو قصيدة، من ذكر الموت، والتذكير به، وهذا ما أكدته هذه الشاعرة، بعد تهيئة قومها لتقبل هذه الحقيقة، من خلال توظيفها للنهي والنداء (لا تجزعا، يا بني طريف).

---

[190] السابق، ص 49.
[191] السابق، ص 69.
[192] السابق، ص 82.
[193] السابق، ص 132.
[194] السابق، ص 185.

وقول مليكة الشيبانية:

يا عين جودي بالدمع بواكف حتى الممات[195]

وقولها:

من ذا يرجى للنصيحة حين تعتقد النصائح؟
أمن يرجّى للقريب ومن يكون لكل نازح؟[196]

وقولها:

ما بال دمعك يا مليكة جاد أم ما لقلبك لا يقر قرار؟
أين الذين إذا ذكرت فعالهم عرفوا بحسن عفافة ووقار؟[197]

لقد نوعت الشاعرة، في الأبيات السابقة بين النداء والأمر والاستفهام، لإظهار حرارة ألمها، وعظم مصابها، وعلو شأن فقيدها.

الخاتمة

نخلص مما تقدم إلى تقرير مجموعة من النتائج نذكر منها:

- اتخذ الخوارج من الشعر وسيلة للدعوة لآرائهم، والدفاع عن معتقداتهم، ولم يكن قول الشعر في حد ذاته غاية يرجونها.
- حرص شعراء الخوارج الشديد، على الإكثار من ذكر طلب الشهادة في سبيل الله وتمنيها، يعكس زهدهم في هذه الحياة الدنيا، ورغبتهم العظيمة في الفوز بمرضاة الله ورضوانه.
- ركز شعراء الخوارج، في وصفهم لشهدائهم على الصفات التي تعكس قوتهم، وشدة بأسهم، وتقواهم، ورفعة قدرهم، ومكارم أخلاقهم. وقد استقوا تلك الصفات من البيئة المحيطة بهم.

---

[195] السابق، ص 200.
[196] السابق، ص 201.
[197] السابق، ص 202.

- تميز الخيال عند شعراء الخوارج بالواقعية والجدية، لاعتمادهم في استقائه على ثقافتهم التي اكتسبوها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن واقع عصرهم، ومن بيئتهم التي أخذوا من عناصرها، ومشاهدها المختلفة.
- تأثر المعجم اللغوي لشعراء الخوارج، بظروف عصرهم القائم على الصراعات الفكرية والسياسية، وبالعقيدة الفكرية التي آمنوا بها، وبالحروب والصراعات التي خاضوها.
- من الظواهر الأسلوبية التي ظهرت في شعرهم، ظاهرة التناص مع القرآن الكريم، وقد بدت هذه الظاهرة جلية وواضحة في شعرهم.
- اعتمد الخوارج على ظاهرة الالتفات، لجذب انتباه المتلقي لما يلقونه من أشعار.
- غلبة سمة التشابه والتكرار وبروزها في شعر الخوارج، ويرجع ذلك إلى طبيعة التجربة الواحدة التي مر بها أكثر الشعراء، وتشابه ظروفهم وطبيعة حياتهم، ومواقفهم التي لا تختلف كثيرا.
- تنوع الصيغ الإنشائية في شعر الخوارج (الأمر، النهي، النداء، الاستفهام، .....) حيث استخدمها شعراؤهم كبديل عن المقدمات التقليدية.

المصادر والمراجع:

1. الرازي، فخر الدين ، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، ط2، ج9، ص 17.
2. عبد الباقي، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، كتاب الشعب، القاهرة، د ت، ص 338- 390.
3. أبو زكريا (يحيى بن شرف النووي)، تحقيق محمود بن الجميل، ط2، مكتبة الصفا، القاهرة، 2004م، ص 338.
4. معروف، نايف ، ديوان الخوارج، تحقيق نايف معروف، دار المسيرة، بيروت، ط1، 1983م، ص 197- 198.
5. الشكعة، مصطفى ، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مكتبة الإنجاد مصرية، القاهرة، 1968م، ص 76.

6. أبو زيد، علي إبراهيم ، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص 252.

7. الشايب، د. أحمد ، أصول النقد الأدبي، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ص 211.

8. منصور، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص 13.

9. عبد الرحمن، د. نصرت ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ط2، مكتبة الأقصى، عمان، 1982، ص 193.

10. القيرواني، ابن رشيق ، العمدة في مجلس الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1934م، ص 286.

11. العسكري، أبو هلال ، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م، ص 295.

12. عساف، د. ساسين ، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ط1، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1972/، ص 14.

13. الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ت، ص 67.

14. أبو زيد، د. علي ابراهيم ، الرؤية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعر السيد الحميري، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 321.

15. عبد الله بن المعتز، البديع،تحقيق أغناطيوس كراتشقوفنكي،مكتبة المثنى،بغداد، ص58.

16. ابن معصوم (علي بن السيد بن أحمد المعصوم الدشتكي)، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي سكر، ط1، النجف، مطبعة النعمان، ج5، ص 34- 35.

17. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ط48، بيروت، دار العلم للملايين، 1989، ص 263.

18. الطيب، عبد الله ، المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط2، ج2، دار الفكر العربي، 1975م، ص 521.

19. عباس، د. حسان ، ديوان شعر الخوارج، جمع وتحقيق د. حسان عبـــاس، ط4، دار الـــشروق، 1982م، ص 23.

20. الهوريني، نصر ، شرح ديباجة القاموس، ج1، ص 205